مقتطفات من كتاب
ذو النورين عثمان بن عفان
عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات

مصطفى علي سيد

(أبو مهاب)

https://cap-khir.com

sedratalmontha@gmail.com

ـ هل تستحق الحياة أن نحياها ؟ . .

فإن كانت حياة الإنسان أهلا للثقة بها والإيمان بقدرها فالجواب نعم ، وإن لم تكن كذلك فلا جواب للسؤال غير اليأس والضياع والانحلال ، بل نحن نرى أن الشاكين والمترددين يثوبون إلى طريق الأمل والرجاء كلما لمسوا للنفس الإنسانية جذورا عميقة فى أصول الحياة ، وهذه الجذور نلمسها لمسا كلما علمنا أن النفس الإنسانية قابلة لعمل عظيم ، وكلما علمنا أن قوة الاعتقاد بالخير هى نفسها عمل عظيم . وليس الخلاف إذن بين دين ودين ، أو بين مذهب ومذهب أو بين فلسفة وفلسفة ، ولكنه خلاف بين حياة لها جذورها وحياة مستأصلة من جميع الجذور . وهو بعبارة أخرى خلاف بين حياة لها معنى وحياة فارغة من كل معنى ، ولو كان هذا المعنى من مخترعاتها الملفقة وأباطيلها المزجاة .

إن سيرة الخليفة الثالث نمط من أنماط متعددة زخرت بها الدعوة الإسلامية من سير الخلفاء وغير الخلفاء : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وأبى عبيدة ، وخالد ، وسعد ، وعمرو ، وأمثالهم من الصحابة والتابعين ، ما منهم إلا من كان عظيما بمزية وعلما من أعلام التاريخ ، فأين كان موضع هؤلاء من العظمة ومن تاريخ بنى الإنسان لولا العقيدة الدينية ولولا الرسالة المحمدية ؟

وأما الحكومات التى قامت فى الجزيرة العربية ، على نحو من نظام الملك والإمارة ، فقد كانت شريعتها ـ على خلاف المظنون ـ طغياناً مطلقاً من جميع القيود ، وكان بعض ملوكهم يتخذ من أهوائه ونزواته شعائر يدين بها الناس فى مسائل الحياة والموت ، فكان المنذر بن ماء السماء يجعل له يوم نعيم ويوم بؤس ، ويقتل كل من يسوقه إليه الحين فى يوم بؤسه ولو كان عابر طريق ، وكان يسكر ويأمر بالقتل فينفذ لساعته ولا يدرى بعد إفاقته فيم كان هذا العقاب إن صح أن يسمى بالعقاب .

فالقيم الأخلاقية والوجدانية هى الجوهر المهم فى تطور الأخلاق ، وليست هى الأسماء والعناوين ، ومتى ظهرت «القيمة» فى أمة فهى مكسب حق لاشك فى نفعه أياً كانت نية المنادى به على الصدق أو على الخداع ، فلو لم يكن الذهب ذا قيمة لما استحق أن يزيفه المزيفون . .

فالعقيدة الدينية لا تبطل سماحة عثمان ولا تغض من قيمتها ، وتظل هذه السماحة سماحة مقومة فى معيار كل فضيلة ومعيار كل فاضل ، لا يغير منها أن العقيدة بعثتها فى مبعثها هذا ، أو حركتها بعد سكون ، أو خلقتها خلقاً من حيث لم تكن . فقد كان مع عثمان أناس من منبته لم يعتقدوا كما اعتقد ولم يزل بينهم وبين الاعتقاد حجاب من عوج العقول وعمى الأبصار وأثرة الجهالة ، وكل أولئك محسوب معدود فى معايير الأخلاق . .

ويبلغ المسخ بهؤلاء المساكين أنهم يخلصون فى بغضائهم إخلاص الجنسين المتعادين بالطبيعة ، فلا يقنعون بما يجدونه من العيوب والأدناس بل يتجسسون عليها ويلحون فى تأويلها ، ولا يطيب لهم شىء كما يطيب لهم أن يطلبوا الثناء على بطولة البطل وتفدية الشهيد وإثار الكريم ، فيردوه إلى الزراية والمهانة ، وتعليل الأمور بأسوأ العلل ، وتفسيرها بأقبح البواعث والأغراض . . ومثل هذه اللجاجة فى تلطيخ تراث الإنسانية كله بالأوزار والأدناس لا تصدر إلا من طبع سقيم وخليقة عوجاء

وفى هذه السيرة على ما نرجو ، وعلى خلاف ما يخطر فى بال الكثيرين لأول وهلة شواهد على هذه الغيرة الكبرى أكبر من شواهد أخرى ، فلعلها لا تبرز لنا عبقرية كعبقرية الصديق أو الفاروق أو الإمام ، ولكنها تبرز لنا من جانب الأريحية صفحة لا تطوى ، ولا يستطيع العقل الرشيد أن يرجع بها إلى باعث غير العقيدة والإيمان .

وليست الخصومات شر ما يبتلى به الناس ، فشر منها الخسة التى ترضى بالدون ، وشر منها الوفاق على الغش والمهانة ، وشر منها شلل الأخلاق الذى لا يبالى صاحبه ما يحسن وما يقبح وما يرضى وما يسوء ، وشر منها الحياة بغير قيمة تستحق الخلاف عليها وبغير معنى يتسع للبحث فيه . .

ولقد كان من الناهضين لمحاسبة عثمان ﷺ أناس مغرضون يقولون مالا يفعلون ويفعلون غير ما يقولون . كان منهم من أقام عليه الحد ، ومن حبس أباه فى جريمة ، ومن فرق بينه وبين حليلة تزوجها على غير الشريعة ، ومن أبى عليه الولاية ، ومن لم يصنع به الخليفة أمراً من هذه الأمور ولكنه كان منطوى النية على الفساد والإفساد . وكل هذه المآرب قد شيبت بها حركة المحاسبة على أعمال الخليفة ، فكانت عيباً للحركة ولكنها لم تكن عيباً لحق المحاسبة ولا إزراء بشأنه ولا بالشأن الذى أكسبته الأمة من تقريره والتعارف عليه ، ولولا أنه حق لما تعلل به المبطلون

وفى التاريخ الثابت بعد الإسلام أن أبا سفيان استلحق زيادا الذى كان يسمى بزياد بن أبيه أو بزياد بن سمية ، وكان معاوية يغضب على من ينكر هذا الاستلحاق ، فقال يزيد بن مفرغ يخاطبه :

أتغضبُ أن يُقال أبُوك عف	وترضى أن يقال أبُوك زان
فأقسم إن رحمك من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان

وقد سُمع غير مرة يقول : «يرحم اللّه عمر ، من ذا يطيق ما كان يطيقه»!

وربما أحرج كما يحرج أصحاب الحياء حين يجترئ على حيائهم من هو أولى بتوقيره فيبدر منه بعض ما يسوء مخاطبه ثم لا يلبث أن يندم على بادرته ويتوب إلى الله ، ومن قبيل ذلك غضبه على عمرو بن العاص حين واجهه بالزجر وهو يخطب الناس ، فثارت ثورته أن يكون هو من يعظه عمرو بمثل ذلك الكلام وما فيه من إغراء بالفتنة عليه قال عمرو : يا عثمان إنك قد ركبت بالناس النهابير[1] وركبوها منك ، فتب إلى الله عز وجل ليتوبوا . . فالتفت إليه مغضباً وأجاب قائلا : وأنت هناك يا ابن النابغة؟ ثم لم يلبث أن رفع يديه وقال : أتوب إلى الله تعالى . ثم كررها فقال : اللهم إنى أول تائب إليك .

فهذه شخصية سمحه ، تساندت فيها مناقب السماحة ، وأوشكت أن تستوفيها على مثال منقطع النظير فيمن عرفناهم من الأعلام بين الجاهلية والإسلام : كرم وحياء ودعة ورفق وأريحية ومروءة تعين على المروءات . فهل يقال على هذا إنها شخصية سمحة وكفى! هل يقال إنها شخصية خلت من صفات البأس والصرامة ، أو كان حظها من هذه الصفات ضئيلا لا يلتفت إليه؟ هل يقال إنها شخصية ضعيفة بكلمة متيقنة لا تردد فيها؟

(١) الرمال المشرفة .

لكن القول بضعف عثمان صعب على من يعلم أن السماحة نفسها قوة لا يضطلع بها طبع ضعيف ، وصعب على من ينظر فى أعماله جميعاً ولا يكتفى منها بأعماله التى يبدو عليها الضعف والتردد ، ولم يكن عهد من عهود سيرته يخلو من عمل يدل على قوة نفس ومناعة خلق وثبات لا يتزعزع أمام الهول والخطر ، وحسبنا من عهود سيرته ما أحاطه بأطرافها من أول إسلامه إلى ختام حياته . فقد كان إسلامه تحدياً قوياً لخاصة أهله ثبت عليه مع بقاء العلية من قومه بين عدو للإسلام أو مسالم له على دخل وسوء نية ، وقد تلقى فى أول خلافته صدمات لم يتعرض الفاروق لأخطر منها فى جميع أيامه

وأسلم فكان من أفقه المسلمين فى أحكام الدين وأحفظهم للقرآن والسنة ، روى عن النبى عليه السلام قرابة مائة وخمسين حديثاً ، وقال محمد بن سيرين وهو يتكلم عن الصحابة : «كان أعلمهم بالمناسك عثمان ، وبعده ابن عمر» .

ومن المهام التى اختصه النبى بها أنه كان يكتب له الوحى عند نزوله ، وكان عليه السلام يناديه متحببا ويقول له وهو يملى عليه : «اكتب يا عثيم» واستخلفه على المدينة فى غزوته إلى ذات الرقاع ، وأرسله إلى اليمن مستطلعا حين كانت إمارتها إلى على ، وكاد أن يفرده بالعمل فيما نسميه اليوم أمانة السر أو الكتابة الخاصة ، وهى أمانة يضطلع بها من يوثق بصدقه وكياسته ولطف أدائه لما يؤتمن عليه من رسالة أو سفارة . .

وأشهر الروايات على أنه سمى بذى النورين لأنه تزوج من رقية وأم كلثوم بنتى النبى عليه السلام ، «ولم يعلم أحد تزوج بنتى نبى غيره» . .

ويقال انه سمى بذلك لإن النبى عليه السلام قال : فيه نور أهل السماء ومصباح أهل الأرض ، ويقال انه كان يختم القرآن كل ليلة فى صلاته «فالقرآن نور وقيام الليل نور» .

ومما خرجه الحافظ السلفى فى سياق هذه الكنية أن إسماعيل بن علين أتى يونس بن خباب ليسمع منه ، فسأله يونس «من أين أنت؟» فقال : «من أهل البصرة» قال يونس : «أنت من أهل المدينة الذين يحبون عثمان بن عفان وقد قتل ابنتى رسول الله ﷺ . . .» فقال يونس ما فحواه : «أتراه قتل واحدة فزوجه الثانية من أجل ذلك!» .

أنه كان موضع سر النبى فى مرضه عليه السلام ، وفى هذه الرواية ينقل عن السيدة حفصة أنها حادثت السيدة عائشة تذكرها بما كان من هذه المسارة فقالت : «إنى كنت أنا وأنت عند رسول الله ﷺ فأغمى عليه فقلت لك : أترينه قد قبض؟ فقلت : لا أدرى ، ثم أفاق فقال : افتحوا له الباب ، فقلت لك : أبوك أو أبى؟ فقلت : لا أدرى ففتحنا فإذا عثمان فلما رآه النبى ﷺ قال : ادنه ، فأكب عليه فسارَّه بشئ لا أدرى أنا وأنت ما هو ثم رفع رأسه فقال : أفهمت ما قلت لك؟ قال نعم ، قال : ادنه . . فأكب عليه أخرى مثلها فساره بشىء ما ندرى ما هو ، ثم رفع رأسه فقال : ما قلت لك؟ قال نعم سمعته أذناى ووعاه قلبى ثم أمره فانصرف . .

وقال لعثمان : «كأنى بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك ، فحملت بنى معيط على رقاب الناس ، وأثرتهم بالفىء» وقال لعلى مثل ذلك عن بنى هاشم ولم يذكر الفىء ، وإذا صح ما جاء فى إحدى الروايات[1] أنه قال لعثمان بعد مقالته الأولى : «فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحا» فإنها لمن نبوءاته التى جعلته من المحدَّثين ، أى من الذين يتحدث إليهم بلسان الغيب ، كما قال عنه النبى عليه السلام . .

لقد كان أبو سفيان يخلط بين النبوة والملك فيقول للعباس : «لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما» . .

وكان ينظر إلى مال الفىء بين يدى رسول الله فيقول للرسول عليه السلام : «لقد أصبحت أكثر قريش مالا» . .

وروى عن الحسن أنا أبا سفيان دخل على عثمان رضى الله عنه حين صارت الخلافة إليه فقال : «قد صارت إليك بعد تَيْم وعدَىٍّ ، فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بنى أمية ، فإنما هو الملك ولا أدرى ما جنة ولا نار» . فانتهره عثمان وأخرجه مطرودا من عنده . .

وإن وجبت كتابة السير ، فأوجب ما يوجبها أن تكشف جانب الخير فى أغوار النفس الإنسانية ، لاقصيدة مديح كما يقال بل تحية صدق تمتحن بالنار والنور بين ظلمات الشرور . وهذه السيرة الرابعة من سير الخلفاء الراشدين لانسميها بالعبقرية كما سمينا عبقرية عمر وعبقرية الإمام وعبقرية الصديق ، لأننا لا نؤمن بالعبقرية لعثمان رضى الله عنه ، ونؤمن فى الحق أنه ذو النورين : نور اليقين ونور الأريحية والخلق الأمين . ومن أبى عليه ميزانه أن يحابى فى كلمة تستدعيها المجاراة لما سبقها من الكلمات لن ينظم قصائد المديح فى محراب التاريخ ، فحسب النفس البشرية أملا أنها غنية بالحق عن قصائد المديح فى هذا المحراب . .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاند رويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355